

ناصر قنديل

بعد الصباحات من دمشق وياسمينها، ومع الصداقة وقيمتها، وفيروز وشدها. وبعد «قالت له» والكلام عن الحبّ والماء والنار. وبعد الرياضيات حين تعبت بالكلام فتبدّل الأحرف فتبدّل المعاني. يطالعنا المختصر المفيد ليبيّن لنا ما يقوله التاريخ عن الصراع بين المحورين الشرقي والغربي، ولِيُظهِرَ لنا أنّ المراهنين على الباطل لا ينالون إلا الصراخ والعويل. وختاماً، نسافر مع المشاركات القيّمة، في رحلة بين الحبّ والوطن، والسياسة والأدب.



صباحات

● أجمل النور الصباح، وأحلا الطيب الياسمين، وأمّ النور والطيب دمشق. يروي إيف سان لوران أنه أجاب على سؤال عن سبب الفارق بين سعر رطل العنق التي يصنعها عن كلفتها كثيراً. فقال: لأنني راكمت اسماً يمنحك شعوراً خاصاً عندما تلبسون ما تنتج. وأتقاضى منكم ثمن هذا الشعور. وهذه هي القيمة المضافة.

ويقول الصباح: الصداقة هي القيمة المضافة الأعلى في حياتنا عندما ننجح في منح أصدقائنا شعوراً مميّزًا بالفرح والفخر والرضا والفائدة الروحية والنفسية أننا جزء من حياتهم... كلما اتسعت دائرة الذين يبادلوننا هذا الشعور، زادت قيمة إحساسنا بالنجاح في الحياة.

وقال الصباح: هل تعتبروني من الأصدقاء الذين يمنحونكم شعوراً كهذا كي تأثّر على البقاء في حياتكم، لأنه يحزنني أن تنتظروا إليّ باعتباري مجرد من يؤدّي واجباً؟ فعبروا عن فرحكم بالضوء الذي أنثره في نهاراتكم، ومثلها عبروا لأصدقائكم وأحببتكم أنكم فرحون بوجودهم في حياتكم. فالكلمة الطيبة التي لا تقال، حرمان من حق، وواجب التعبير عن الفرح أكبر من حق التعبير عن الغضب؟

● تمنحنا الحياة فرصة اختبار الحقائق والمعارف، وتسمى خلاصاتها خبرة. لكننا نصرّ أن نعلم أولادنا ما تعلمنا لبيدأوا حياتهم وتكوين خبراتهم من حيث ابتدأنا لا من حيث انتهينا. وهذا هو أحد أسباب عدم تقدّمنا. فخبرة السنوات العشرين تصير خبرة سنة معادة عشرين مرة، وهكذا تعيد بلداننا الأزمات ذاتها كل جيل وتقع في المصائب ذاتها وتصاب بنقاط الضعف ذاتها، وتعيد إنتاج الروايات ذاتها إنما بأبطال جدد وأدوات وفترتها التكنولوجية أشد فتكاً في النفس والروح والجسد والعمران. وفي تجاربنا الحياتية يعيد أولادنا إنتاج الأخطاء ذاتها ويقولون تعلمنا، لكنهم لا يعلمون أولادهم ما تعلموا، فيعيدون الكثرة من حيث نحن كئناً... الذكرة الفردية والجماعية تعني تراكم الخبرات لا رواية المآسي والبطولات.

● صباحكم رائحة الياسمين. يعرف السوريون أنّهم يدافعون عن دولة لن تدعمهم يصحون وصباحهم رائحة نفايات... صوّر أمس للاسكندرية وبيروت... ودمشق بعد خمس سنوات حرب.

● ببني وبين فيروز رفقة لا تنتهي... وقلبي عجوز والعاشق مشته... فقلت له الأذن أرقى الحواس اسمع كلام الناس كلهم سيوف الحق... لكن يا أذن تنهّيها وبأ عقل اعتبر، فالباطل غالباً بسيوف الحق ينتصر.

● قلبي زهر الليمون ووطني نور العيون. وما بقي من العمر كمشة تراب. لكن الرأي بعنفوان يلاقي السحاب. أوراق الخريف تصير صفراء. وحده ربيع النصر أوراقه خضراء. نمضي بما تبقى من عيون لا تلتفت إلى وراء... لا وقت للعباب.

قالت له

قالت له: أنت حيرتي وغيرتي. فكلامك يطربني وكلامك يعدّيني، لا أريده وأشتاق إليه. وجمالك يغويني وأخشى عليك منه، ولا أجد حلاً إن ابتعدت عنك، ولا إن اقتربت أكثر، كغفراشة أمام النار تقرب فتحترق، وتبتعد فتترد.

فقال لها: وأنت من دون الكلام حيرة، ومن دون الإغواء غيرة. وقد وجدت حلاً في منتصف الطريق أن أكون في فراشة على سطح كوب ماء، لا تحرق ولا تغرق، وتراقب النار وتشعر بدفئتها، وترضى أن النار لا تملك.

فقالت: وهل تملك النار مصيبة؟ فقال لها: تملك النار مصيبة. ولذلك، كانت جهنم تغوينا ونذهب إليها بأقدامنا. وإن اكتشفت جهنمك على سطح كوب ماء.

فقالت: وما هو كوب مائك كي أقتني مثله؟ فقال: الرضا.

فقالت: وما رضيت لأرضي؟ فقال: أن أرى منك ابتسامة كل صباح، وأرتضي لغيري جسيم نارك.

فقالت: وإن أحرقتني الغيرة؟ قال: تبللين جانحك بالماء، ومزيد من الرضا، وتغصّين البصر.

فقالت: إذا، لغيرتي أسباب، وأنت تمارس عليّ الخداع بلعبة الماء والنار. فقال لها: ومن ليس لغيرته أسباب، كان حبيبه من شمع يذوب قبل اشتعال النار. فقالت: عذب كلامك. يعدّيني ويطربني. فدعنا نعيش في الحبّ كلاماً.

فقال لها: ما قد وضعت أول جناحك في كوب الماء، وعندما تتبلل ستشعرين بدفء النار بدلا من الاحتراق بلهيبها.

فقالت: إذا، فلنبتعد ونكتب شعراً. فقال: هذا ما فعله جبران عندما ينس من الحبّ.

رياضيات في الكلام

● إذا كان الموت نهايتنا المطلقة، فالوقت ثروتنا المطلقة، وما ننفق عليه الوقت لا المال، حقيقتنا المطلقة.

● يمضي الناس حياتهم بحثاً عن السعادة بقدرات عقلية وجسدية يملكونها ولا يدركون أنها تتغير، ويتغير معها فهمهم وتطلّبتهم للسعادة ودرجة امتلاكهم القدرة التي تستدعيها... السعادة ليست الفرح ولا المرح ولا التمتع، لأنها مشاعر اللحظة الزائلة، بينما السعادة شعور لاحق بالرضا عن بذل وقت وجهد لا مكان بعدهما للشعور بالندم.

● بين العقل والقلب مسافة كفين. وبين العين والأذن كف واحدة، فخذوا حاصل جمع الأربعة، واقسموا على ثمانية، تصلون إلى نصف الحقيقة، ويبقى النصف للزمان. وإن لم تفعلوا، أخذ الزمان منكم حق القرار.

● لك في اليوم أربع ساعات مجدية، وما عداها نوم وطعام وتنقّل واجتماعيات. فمن خسر منها ساعة أضاع ربع عمره.

● كلما هطل المطر على مواسم الزيتون في موعده، زاده زيتاً. وكلّما تقدّم وتأخر أصابه مقتلًا. وهكذا هو العتاب في مواسم الحبّ والصداقة.

● الماء هو الحياة، والزيت هو العمل، والنار هي الشغف، فمن أمضى حياته باثنتين اشتعل وانطلق بسرعة أو حُرِم حرارة الاشتعال والدفء، أو أمضى حياته بفصل الزيت عن الماء، وهما لا يخلطان ولا ينفصلان.

مملكة الوعد

بقايا من الموت قبلي ويعدني
أعيش الأليقين حزني وسعدني
شفاني. وشف فؤادي الشقاء
وعذري شوكي يكلل وردي
فيا من يمينك كان شمالاً
أتدري يمينك بجهل ردي
كانك يا طيف لا طيف عدني
يقولك حلالي حزي وبردي

سحر أحمد علي الحارة



قبس من حبّ

سحريّ غامض ذاك النور
الخفي، واصلنا بالوجود. منّا من
لا يراه، ولا حتى يشعر به، فيفسر
رحلته محفوفة بالغمّة، ويتفق
كنوز، في ظلّها القاتمة، من دون
جدوى...

ذلك أنه طمس النواة الكامنة فيه، مانعاً عنها البزوغ، فتكافئ الظلام وبيات اختراقه أكثر عسراً. ومنّا من يرى ذاك الضياء لوناً واحداً، فهو لم يعد على الأفاق: جل ما أدركه، ما اجتازه من دروب ضيقة، لم تحظّ بغير الخافت من البريق، وربما لم يكن هو يعلم أن بين حذيّ الحياة ثمة ما هو جديرٌ بالبحث أصلاً!

وأخرون لا يرون ذاك القبس فحسب، إنما يستنثرون باطيفاه على اختلافها، وتتوّعها، وتماثلها، وحتى على تباينها، وهم لا يحيون إلا به! هؤلاء فقط لا يغفلون عن إلقاء التحية على مرآة نفوسهم الشافة كل صباح، فتشرق في قلوبهم وعيونهم معادلة الحياة الحقة: الصدق لا تلوّثه الشوائب، والحبّ الصافي لا يكسرده الحقد!

سحر عبد الخالق

رحلة شهيد

وفرحاً. دخل البيت. اعتلاه الصمت لا يدري ما يقول ولمن يقول.

فدموع أمه أخلجته. كان يود لو يستطيع أن يسبح دموعها التي غسلت صدره حين ارتمت عليه وكانها تريد سماع صوت روحه لتحذّته معاتبته. وأخته التي أسكتت يديه تقبلها بصمت. وأبوه الذي جلس عند قدميه وراح يحذّبه بحرقة عن سنوات مضت حين كان صغيراً يداعيه وأخيه.

جال بعينيه يبحث عن سلمى باللحفة ذاتها عندما كان يبحث عنها قبلاً. فوجدتها تجلس في زاوية البيت تتأمله بصمت تجول بعينيهما على جسده الممدّد. لكن هذه المرّة كان الحزن يلف وجنتيهما.

ساد صمت مطبق إلى أن أتت ساعة رحيله الإبدئيّ عن كل أحبابه. الذين كسروا الصمت بأصوات العويل والأهازيج والرايات وحبّات الأرز والورود.

في تلك اللحظة، كان يود لو أنه استطاع أن يحضنهم جميعاً ويخفف من حزنهم. فحاطبهم بصوت ملا الدنيا وكانه غناء طير مهاجر: «نعم، رحلت عنكم جسداً لكنني باق بروحي معكم. فانا الشهيد. انا العريس من دون عروس. أنا من ترك كل شيء وتبع وطنه.»

ربي الشلهوب

شاب في ربيع العمر سمع نداءً يقول له: «اترك كلّ شيء واتبعني». لم يدرك من أين أتاه ذلك الصوت، لكن جل ما عرفه أن هذا الصوت الحنون يحثّه ويعشقه ولديه استعداد كي يبيع الدنيا بما فيها ليقتني صاحبه بخير.

لبّى النداء وترك بيته وأرضه وعاف أهله ورحل. كان يعلم أن رحلته هذه تحمل من الشقاء ما يكفي، لكنه رحل. لا يحمل معه سوى بعض من الذكريات الجميلة. لم تكن كثيرة لكنها كافية لتكون زوادة يومه حين يباغته جوع الحنين في ساحات القتال. فالصوت كان صوت وطنه الذي علا مستنجداً به ليقف في وجه الطغاة.

رحلته ويّعهده عن بيته وأهله لم يكونا طويلين إذ عاد. لكن مرغماً لا مختيراً. عاد جاملًا معه هذه المرة بين كفيه بندقيه. ممدداً على الأكف معطراً بدمه. متاملاً السماء بصفاؤها. مسترجعاً كل ما مرّ به وكانه شريط سينمائي. مرتبكا من فاجعة اللقاء. وهو من كان يتلّف للحظة لقاؤه مع من أحب. لكن كيف سيلتقي أمه؟ ماذا سيقول لها؟ أخته أخاه أباه وجيرانه. ويسلمه حبيبته السمراء النقية. كان يخشى عليها من الفاجعة.

وصل إلى حدود بيته فرأى الشوارع المحيطة وقد زيّنت بأشرطاب البيضاء، لاستقبال العريس المنتظر. اقترب من البيت واذ بالزغاريد تلعو ممزوجة بأهات اللوعة وحرقة القلب. لا يُعْطِي لهيبها سيل من الدموع الزارفة حزناً

اتفاقية فيينا

حقيقة، أنا لا أعلم ولم لماذا هذا الاجتماع، ولا أعرف إن كان يمكن أن يكون هناك اتفاق والعرب فيه أحد الأطراف. فلا فلسف الشديد، العرب معروفون باتفاقية عظيمة الشأن لا مثيل لها بين كل الاتفاقيات. هي: اتفقتنا على ألا نتفق أبداً. لا أعرف إن كنا بحاجة إلى المزيد من المزاوغات. إلى المزيد من التصريحات العارية من كل ما يمكن أن يكسوها من المبادئ الإنسانية.

اجتماعات. حبر على ورق ومجرد كلام. والقلوب أضناها الإرهاب. مفعومة من القهر لا تنام. قلوب فلماى لحياة يملؤها الأمان. والظلمان لا تزويه أوهام الكلام في صحراء قاحلة لا خير ولا طير ولا ماء. فقط هي الثعابين في تلك الصحراء.

يؤسفني أن يكون هناك اجتماع من أجلنا نحن السوريين. من أجل السلام لوطننا الغالي. والسعودية فيه أحد الأطراف. مكتورة الشر والحقد هي، فقد فعلت أكثر من الواجب بكثير.

فليسترح جيبها في البيت، فلا داعي لمزيد من التأمّر. فهو أصغر بكثير من أن يقيم مصير شعب عظيم كتب التاريخ بدم طاهر غفيف. كتب التاريخ حكايات صمود وشموخ وإباء. حكايات بطولات أبهرت الأصدقاء قبل الأعداء. حكايات بطلها الأسد بشار.

الم يعلم ذلك العبد المأمور هو وأسياده أن سورية تعني بشار الأسد. وبشار يعني سورية الأسد. اسمان يلمعان ذهباً أصيلاً في قلب كل سوري شريف.

فكافك نفاقاً أيها الأوغاد. فكافك أحلاماً وسباقاً فيه تلهث الأنفاس. فكافك أعداءات حاقدة. فالقاتل أبعد شخص يمكن أن يمي على أهل الضحية كيف يداون جراحهم وينسون مصابهم.

فالعمر يحتاج إلى ألف وألف رحلة من السنين حتى ننسى ماذا فعلتم بوطننا الغالي سورية الحبيبة.

فلا عرب ولا عربية ولا أمة بشرية إن كانت السعودية تقرّر مصير سورية. فلنتنقّي الحياة عن بكرة أبيها. ولتמות السيادة ولتدفن الكرامة رخيصة إن بقي مصير الإنسانية بين أيادي أولئك المرتزقة الكفار. أولئك العبيد الذخلاء المستعربين.

وياسمي، وياسم كل سوريّ شريف حرّ أبيّ كريم، رفض الذلّ والخنوع. فإنتا نرفض أيّ قرار ينطق بمصير سورية من دون وجود قائداً بشار الأسد. وإن كان غير ذلك، لتبقى المعركة.

فالروح فداه ألف وألف مرّة. وسنموت ونعيش ألف مرّة. ونموت ونعيش ألف مرّة. حتى تحيا سورية حرّة أبية بقيادة بشارها الأسد.

سناء أسعد

حبّ لا يخبو

قالت له: حملتّ الشفاه كل الاشتياق. وطبعت على خدك عذب الهيام. يمزّ العمر فاصلاً بيننا، وأخاف ألا نعمل معاً باقي المشوار. كم زهرة طفتك لك ذبلت على شعري قبل أن أراك؟ تمرّ أمامي هادراً كنهير لا يرحم. إليك شكواي ومنك خوفي والأحزان. هلا مسحت عن أضلعي هذا الغلام؟ فأتت نبع المنيّ ولك تصبوك كل النظرات. بعد عمر عرفت فيه كل ألوان الحياة، غدوت لهفتي عن فهم واقتراع. أما زال فؤادك يحن إليّ؟ تنام العيون ترجو الهباء. قال، يا وردة لم يحبّ عبيد عشقها، وصدى هواما حطم الزمان. كيف ترتابين في صدق منشاعري، وتعتنين عليّ من بُعد أو جفاء؟ لا خير في حياة لم تكوني لها ليل الشمس والهواء. أما ركضت خلفك كطفل مسحور بملكة الفراش؟ لو لم نفرق قليلاً لما نفذ النور إلى القلب وأثار. وعدتك بالمدي فلا تحزني لبعض ناى وانشغال. بقودني خافق يحلم دائماً بحلو اللقاء. تعالي اغمريني لتنسى برد الشتاء وتشرّب معاً شاي الصباح.

رائيا الصوص